**أسباب الإقبال على الطاعة والعبادة**

**د.محمد بن عدنان السمان**

**خطيب جامع الجهيمي بالرياض**

**alsmman@gmail.com**

**الحَمْدُ للهِ وحده ، سُبَحَانَهُ يَجْزِي المُحْسنِينَ، ويَتَقبَّـلُ عَمَلَ المُتَّقِينَ، أَمَرَنا بِعِبَادَتِهِ حتَّى يأتِيَنا اليَقينُ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، ، وَأَشْهَدُ أَن نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ،  وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، والتَابِعينَ لَهُم بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.**

**أمَّا بَعْدُ، فَأُوصِيكُمْ وَنَفْسِي -عِبَادَ اللهِ- بِالتَقْوَى، فَإِنَّهَا سَبَبُ الفلاح ، وصدق الله فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ **

**سؤال مهم يحسن بالمسلم أن يعتني بإجابته ، وخاصة ونحن على مقربة من موسم عظيم هو من أعظم مواسم الطاعات والقربات ، والسؤال هو :**

**كَيْفَ نَجْعَلُ أَنْفُسَنَا مُقْبِلَةً عَلَى الطَّاعَةِ وعلى العبادة ؟ إِنَّمَا يُقْبِلُ عَلَى الطَّاعَةِ والعبادة مَنْ عَرَفَ سِرَّ وُجُودِهِ فِي الحَيَاةِ، وَأَدْرَكَ أَنَّ مُنْقَلَبَهُ - لا مَحَالَةَ - إِلَى اللهِ، فَهُوَ يُهَيِّئُ زَادَهُ لِلِّقَاءِ المُرتَقَبِ، وَيُعِدُّ عُدَّتَهُ لِلْيَوْمِ المَوْعُودِ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ:  وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ، نعم .. قف مع نفسك واسمع الآية مرة أخرة ( وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ) فهَلْ مِنْ عَاقِلٍ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ ضِمْنَ رِفْقَةٍ فِي سَفَرٍ يَحْمِلُونَ زَادَهُمْ وَهُوَ لا يَحْمِلُ؟ وَيَتَزَوَّدُونَ وَهُوَ لا يَتَزَوَّدُ؟ وَمِنْ هُنَا كانَ لا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نَتَفَكَّرَ: مَا الَّذِي يَبْعَثُ النَّفْسَ إِلَى الخَيْرَاتِ؟ وَمَا طُرُقُ تَقْوِيَةِ عَزَائِمِ الخَيْرِ فِي النُّفُوسِ؟ وَالجَوَابُ أَنَّهُ لا بُدَّ مِنَ البَحْثِ عَنْ وَسَائِلَ لِبَعْثِ الهِمَمِ الخَامِدَةِ، وَإِيقَاظِ العَزَائِمِ النَّائِمَةِ، حَتَّى تَنْشَطَ النَّفْسُ بَعْدَ كَسَلِهَا، وَتَهُبَّ مِنْ غَفْوَتِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُثَـبِّطُ النُّفُوسَ عَنْ طَلَبِ مَفَاتِيحِ الجِنَانِ، وَيَقِفُ بِالمِرْصَادِ لِمَنْ تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ بِالقُرْبِ مِنَ الطَّاعَاتِ؛ حَتَّى يَصْرِفَهُ عَنْ عَمَلِ الصَّالِحَاتِ .**

**إنَّ النَّفْسَ البَشَرِيَّةَ تَحتَاجُ إِلَى تَهْيِئَةٍ صَحِيحَةٍ لِلعِبَادَةِ وفِعْـلِ الخَيْرِ، فَالتَّهيئَةُ النَّفْسِيَّةُ تُسْهِمُ فِي تَطْوِيعِ النَّفْسِ وتَرويضِها، لأنها تَستَنْهِضُ هِمَمَ الأَفْرَادِ وتَجَعَلُهُمْ يُخْرِجُونَ الطَّاقَاتِ المَخْبُوءَةَ دَاخِلَهُمْ، ولقَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ عِبَادَةٍ تَهْيِئةً تَسْبِقُهَا وَتُثِيْرُ فِي الْنُفُوسِ الْشَّوْقَ إِلَيْهَا وَالْحِرْصَ عَلَيْهَا، فَالْوُضُوءُ تَهْيِئةٌ للْصَّلاَةِ، وَالاستِعَاذَةُ والبسملة تَهْيِئةٌ لقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالثناء على الله والْصَّلاةُ عَلَى الْرَّسُولِ  تَهْيِئةٌ لِلدُّعَاءِ، وَكَثْرَةِ الْصِّيَامِ فِي شَعْبَانَ تَهْيِئةٌ لِشَهْرِ رَمَضَانَ .**

**فَعَنْ أُمِّ المُؤمِنينَ عَائشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: ( كَانَ رَسُولُ اللهِ  يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لاَ يُفْطِرُ، ويُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لاَ يَصُومُ، وَمَا رَأْيتُ رَسُولَ اللهِ  استَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلاَّ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكَثَرَ صِياماً مِنْهُ فِي شَعْبَان )، فَالإِكثَارُ مِنْ الصِيَامِ فِي شَهرِ شَعْبَان تَمرِينٌ لِلنفسِ عَلى صِيَامِ شَهرِ رَمَضان، وَتَعوِيدٌ عَلى أَدَاءِ الوَاجبِ بِيُسرٍ وَسُهولةٍ واطمِئْنَانٍ .**

**ومن الأمور التي تعينينا على الإقبال على الطاعة والعبادة استشعار تلك الأجور العظيمة على فعل الخيرات واكتساب ، وإذا الفرائض من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها مما يحبه الله ، ففي الحديث القدسي (وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ) ، فأيضاً النوافل بأنواعها من محاب الله سبحانه ، ففي ذات الحديث السابق : (وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ) ، وإذا استعرضنا كثيراً من الأعمال الصالحة تجد أن الله تعالى رتب عليها كثيراً من الأجور التي ذكرها في كتابه ، ونص عليها رسوله صلى الله عليه وسلم في أحاديثه ، وكل ذلك تحفيزا للمسلم للإقبال على الطاعة والعبادة ، وإنها وإن تعددت الأجور فإن الأجر الأعظم الذي يسعى إليه كل مسلم هو دخول الجنة والنظر إلى وجه الله الكريم ، والله سبحانه وتعالى أرشد في كتابه أن العمل الصالح طريق إلى جنة عرضها السموات والأرض ، قال تعالى : ( وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا )**

**وقال سبحانه : ( وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا )**

**وقال جل ذكره : ( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) .**

**ومن هنا فليعلم المسلم أن إقباله على الطاعة والعبادة له أجره العظيم عند الله ، وإنما تتفاوت الدرجات في الجنة بعد توفيق الله في تفاوت الأعمال الصالحة بين الناس ، والسعيد من وفق لأن يكون من المقربين والسابقين .**

**معاشر الأكارم ..إن هذا الدنيا التي استخلفنا الله فيها وأمرنا أن نسعى فيها ، يجب أن ننظر لها على حقيقتها عندما نقارنها بالآخرة ، قال ربنا سبحانه : ( يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآَخِرَةَ هِيَ دَارُ القَرَارِ \* مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ )**

**أيها المسلمون ومما يعين على الإقبال على الطاعة والعبادة ..الإستعانة بالله ودعاؤه ، وفي وصية النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه معاذ بن جبل رضي الله عنه ، ( لا تدع أن تقول دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ) .**

**و لنوقن أن الله سبحانه وهو الذي أمرنا بالدعاء هو من وعدنا بالإجابة، حيث قال جلَّ و علا:(ادعوني أستجب لكم ) قال الإمام ابن كثير-رحمه الله-: هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه،وتكفل لهم بالإِجابة .**

**إخوة الإسلام .. ومما يعين المسلم على الإقبال على الطاعة والعبادة ، استشعار اللذة والحلاوة التي يكسبها ويكتسبها المقبل على الله من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ، مَنْ رَضِيَ بِالله رَبًّا، وَبِالإِسْلامَ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً». رواه مسلم**

**إن هذا الإستشعار لهذه الطمأنينة والراحة التي تكون في القلب من أهم المعينات على الإقبال على الطاعة والعبادة ، هذا رسولنا وقدوتنا صلى الله عليه وسلم ، يجد راحته وطمأنيته وقرة عينه في الصلاة ، يقول لمؤذنه بلال بن رباح رضي الله عنه : ( يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها ) رواه أبو داود**

**وكان يقول صلى الله عليه وسلم:( وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلَاةِ ) رواه النسائي .**

**ولهذا لا تعجب من كثير من الأخيار الذين يجدون راحتهم وطمأنينتهم في التبكير للجمع والجماعات فهم يجدون لذتهم وراحتهم في المسجد وفي الصلاة وفي قراءة القرآن وفي ذكر الله وفي الدعاء وفي الإقبال على الله تعالى ..**

**فمن استشعر الأجر كان ذلك معيناً له على الإقبال على الطاعة والعبادة**

**فإذا ضعفت همتك عن القيام لصلاة الفجر فذكرها أن من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله**

**وإذا ضفعت همتك عن قراءة القرآن فذكرها أن من قرأ القرآن له بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها .**

**وإذا ضعفت همتك عن ذكر الله فذكرها أن الله أعد للذاكرين الله كثيراً والذاكرات مغفرة وأجراً عظيما .**

**وإذا ضعفت همتك عن صلاة الوتر فذكرها أن الله وتر يحب الوتر ، وهكذا يقبل المسلم على الطاعة راجياً ماعند الله من الأجر والثواب الجزيل .**

**اللهم إنا نسألك أن تعيننا على طاعتك ... . اسغفروا ربكم إنه غفور رحيم ..**

**الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، سَهَّـلَ لِلْعِبَادِ طُرُقَ الخَيْرِ وَيَسَّرَ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَوَابِغِ الإِنْعَامِ مَا لا يُعَدُّ وَلا يُحْصَرُ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نبينا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، نَبِيٌّ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ،  وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ المَحْـشَرِ.**

**أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:**

**ومن الأسباب كذلك المهمة على الإقبال على الطاعة والعبادة ،مجاهدة النفس على فعل الطاعات والتزود من الخيرات والصبر على ذلك ، وقد قسم أهل العلم الصبر إلى ثلاثة أقسام :**

**1. الصبر عند المصائب .**

**2. الصبر عن معصية الله بعدم إتيانها .**

**3. وهو شاهد حديثنا : الصبر على طاعة الله .**

**قال الله تعالى مبيناً هذا النوع من أنواع الصبر مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم : (رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا )**

**قال الشيخ السعدي رحمه الله في معنى قوله تعالى ( واصطبر لعبادته ) : أي: اصبر نفسك عليها وجاهدها، وقم عليها أتم القيام وأكملها ...**

**معاشر الأفاضل .. و لقد نص الله سبحانه وتعالى على الصبر في شأن الصلاة أعظم أركان الدين ووجه بذلك إمام المرسلين وخاتم النبين صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه : ( وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ) .**

**ومن هنا نعلم أهمية مجاهدة النفس على الطاعة والعبادة والصبر على ذلك فإن ذلك معين بإذن الله على الإقبال على الطاعة والعبادة**

**اللهم إنا نسألك أن توفقنا لطاعتك وعبادتك ..**

**ثم وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ**